ردا على مقال

"أزمة الإسلام السياسي الراديكالي ونموذج حزب التحرير"

نشرت عربي ٢١ مقالا لكاتب من الأردن اسمه حسن أبو هنية تحت عنوان: (**أزمة الإسلام السياسي الراديكالي ونموذج حزب التحرير...**) وما ذكره في المقال سطره في كتاب منشور تبنت نشره مؤسسة فريدريش الألمانية التي تعنى بهذا النوع من الدراسات والكتاب تحت عنوان: (الإسلاميون في الأردن الدين والدولة والمجتمع) شاركه فيه الوزير الأردني السابق محمد أبو رمان.

ولما احتوى الكتاب ومنه هذا المقال الكثير من المغالطات جاء ردنا ولم نرد الوقوف عند كل نقطة وإنما سنتناول هنا بعضا مما جاء ونرد عليه، فخير الكلام ما قل ودل، ومن لم يقنع بالقليل لن يقنع بالكثير؛ فأقول:

أولا: لقد أبصر حزب التحرير طريقه من أول يوم تأسس فيه، وقد شهد لهذا أعداؤه قبل أصدقائه، ومبغضوه من الظلاميين والواقعيين ومن خلفهم قبل محبيه، فلم يكن يوما حزبا ارتجاليا يجترّ الطريقة والوسيلة للوصول إلى مبتغاه؛ وذلك لأنه سار على طريقة النبي ﷺ للوصول إلى الغاية التي قام من أجلها، وهي إقامة الخلافة وعودة المسلمين أمة عظيمة تحسب لها الدنيا ألف حساب، فالطريقة التي هي عند الأستاذ حسن جمود وتحجر والتي منعت الحزب من الوصول للناس حسب زعمه هي عينها الطريقة التي سار عليها النبي ﷺ والتزمها حتى أقام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، فكانت الطريقة التي التزمها حزب التحرير أحكاما شرعية، وهي عنده كالصلاة والصيام ليس له أن يتقدمها أو يتأخر عنها، والمرونة التي يطلبها الكاتب في مقاله لا ندري ما حدها؛ أنعبد إلههم عاما ويعبدون إلهنا عاما تحت نظرية الحل الوسط؟! وهل المرونة مثلا أن يترك الحزب طلب النصرة، أو يشارك الأنظمة العميلة في وضع دين غير دين الأمة فيشارك في وضع التشريعات ويكون جزءا من المجالس النيابية؟! أم هل المرونة التي يطلبها الكاتب أن يبدل الحزب ثوبه كما فعلت بعض الجماعات في مصر وتونس والمغرب وفلسطين لترضي أمريكا والغرب بسخط الله؟! ولماذا لم يسأل الكاتب نفسه ماذا جنى أصحاب المرونة في مصر وتونس؟! فمن أوصلهم للحكم عاد وانقلب عليهم، وها هم الآن بين قتيل وسجين، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

ثانيا: تناولت في مقالك شيئا تعرض فيه بالشيخ العلامة تقي الدين النبهاني مؤسس الحزب من أنه "استعار بصورة مكثفة المفاهيم الاشتراكية لصياغة أيديولوجية الحزب في الجوانب الاستراتيجية العملية والهيكلية التنظيمية" مع أنك قبلها بسطور قلت "ومنذ تأسيسه كانت الصياغة الأيديولوجية لحزب التحرير واضحة وهيكليته التنظيمية ناجزة على صورة نظام كلي شامل" وأيضا جاء في مقالك "صاغ مؤسس الحزب أيديولوجية دينية وسياسية كاملة لنظام شامل للحياة..." فما هذا اللغط؟! على كل حال فإن مؤسس الحزب كان على قدر عظيم من العلم والدقة، لا تخطئه عين باصرة، وقد كتب ما يربو على عشرين كتابا في النظام الاجتماعي والاقتصادي وفي نظام الحكم... فوق كونه أصّل في علوم السياسة في كتابين: نظرات سياسية ومفاهيم سياسية، فكان بذلك رائدا في علم السياسة، ولم نجده في كتبه رحمه الله، أنه استعار لا بصورة مكثفة ولا بصورة بسيطة أيا من المفاهيم الاشتراكية ليصوغ أيديولوجية الحزب! وكيف يكون ذلك وهو نفسه

رحمه الله قد عرف المفاهيم بأنها معاني الأفكار، والأفكار المنهضة في الأمة لا تكون إلا على أساس الإسلام، فأصل المفاهيم عند المسلمين هي العقيدة الإسلامية!

ثالثا: إن ما يسميه الكاتب وهو عنوان مقاله: (أزمة الإسلام السياسي الراديكالي ونموذج حزب التحرير) هو ليس أزمة في الإسلام ولا في نموذجه، وإنما هو أزمة فيمن تصدى للعمل تحت هذا المصطلح وهو ليس من أهله، فالإسلام دين صلح لرعاية الناس إلى قيام الساعة، ولا يتصور أن يكون مصدره الخالق الذي جعله مهيمنا على كل الأديان ورضيه للبشرية دينا، ثم يدعى أنه في أزمة، لذلك كان يجب على الكاتب الكريم أن يقول: (أزمة جماعات الإسلام السياسي...) إذن فإن الإسلام بوصفه عقيدة ونظاما سياسيا نظم شئون الحياة كافة، لا يتصور عليه أي نقص أو خلل ولكن ربما يحدث الخلل إذا تصدى للعمل من هو ليس أهلا له، وحينها يبدو للوهلة الأولى أن الخطأ في أصل هذه الفكرة، وليس الأمر كذلك، فمثلا الجهاد حكم شرعي ثابت إلى قيام الساعة وقد كان طوال ثلاثة عشر قرنا تحمله الدولة وتعتبره طريقة لتحرير البلاد ونشر الدعوة، وقد كان يحقق نتائج مادية ملموسة على الأرض فوق كونه عبادة من العبادات وفيه الناحية الروحية، أما الآن فإنه لا يحقق شيئا، فلربما بدا أن الخلل في الجهاد نفسه مع أن دقة النظر تبين أن الجهاد الذي كانت تحمله الدولة لنشر الإسلام ودفع العدوان لم تعد الدولة تحمله بل يحمله أفراد من الناس فكان طبيعيا أن لا يحقق انتصارات على الأرض، وبذلك فإن القياس لا يصح، وشتان بين الأمرين، لذلك كان يجب على الكاتب أن يبين للقارئ أن الإخفاق ليس في فكرة الإسلام وإنما الإخفاق كان لمن تصدى للعمل السياسي على أساس الإسلام، وهو لا يملك أدوات الصراع، وهذا على فرض الإخلاص والجدية، والحق أن ما شهدناه من تجارب الجماعات الإسلامية التي حاولت العمل بالسياسة أنها لم تجمع أيا من الصفتين لذلك كانت طعما سهلا وصيدا بسيطا في فخاخ الغرب.

رابعا: يعزي الكاتب (الانشقاقات المتتالية) بحسب وصفه التي مني بها الحزب للتصلب الأيديولوجي من ناحية واتهام المنشقين للقيادة بالعجز والجهل. أما الأولى فإنها قد وردت عنده في محضر الذم مع أنها ليست كذلك، فالتصلب الذي يقصده الكاتب هو التزام الحزب بالأحكام الشرعية التي كما أسلفت آنفا ليست عرضة للتبديل والتغيير ولا يملك الحزب تغييرها، فالطريقة عند الحزب مثل الصلاة والحج، وحمل الدعوة لاستئناف الحياة الإسلامية والسفور والتحدي في حمل الدعوة كل ذلك هو مجموعة من الأحكام الشرعية، وهي تحت قوله سبحانه: ﴿**قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ أما الثانية: فليس هذا مقامها وما يسميه الكاتب انشقاقات حتى يهيئ للقارئ أن الحزب يشهد ثورة داخل صفوفه هو ليس كما يظن فليس كل خروج من الحزب من واحد أو من عشرة انشقاقا، وإلا لم يسلم من ذلك حتى الدولة التي يكتب منها!!! وهذا أبي بن سلول في معركة بني المصطلق قد عاد بثلث الجيش ولم نسم ذلك انشقاقا.

خامسا: بدأ الحزب يشق طريقه في بداية الخمسينات من القرن المنصرم في فلسطين والأردن ورسم لنفسه طريقا واضحة للوصول إلى مبتغاه، وبالرغم مما لاقاه من الصعوبات والعقبات والملاحقات الأمنية والاعتقالات والتعذيب الذي أفضى إلى استشهاد الكثير من شبابه، إلا أنه الآن يعمل في نحو خمسين دولة، بل وفوق ذلك فقد جعل الفكرة التي يحملها تطغى على كل الأفكار، فالخلافة أصبحت عند الأمة مطلبا، ولو أنصف الكاتب الحزب وفكرته لعلم أن الأفكار التي كانت يوما تحملها الأنظمة بل وتحمل الناس عليها أصبحت شيئا من الماضي، فأين القومية التي دجّل بها عبد الناصر؟! وأين البعث وفكرته التي نفذت على الناس بالحديد والنار؟! بل أين الوطنية التي ما انفكت الأنظمة العميلة تعمل على تفريق الأمة على أساسها؟! فما زال الحزب يعمل على هدم كل هذه الأفكار الدخيلة لتعود فكرة الإسلام بيضاء نقية لا تشوبها شائبة أو

يعتريها خلل، وبفضل الله أصبحت فكرة الخلافة رقما صعبا في دائرة الأفكار وحقق الحزب في ذلك نجاحات منقطعة النظير، ولم تعد هناك أفكار تزاحم فكرة الخلافة، ولم يعد هناك نظام سياسي يصمد أمام النظام السياسي في الإسلام. أليس كل هذا نجاحا يا أستاذ حسن؟! أمّا أن الحزب "لم يستفد من التحولات الديمقراطية والثورات الشعبية التي شهدها العالم العربي" فإن هذه مغالطة لا ينبغي لمثله أن يقع في مثلها، ولا أدري هل التحول الديمقراطي الذي يقصده هو التحول في مصر مثلا الذي قتلت فيه الدولة الناس وعادت مصر سيرتها الأولى تحت حكم العسكر، أم التحول الديمقراطي الذي شهدته الشام بحرب كونية على أهلها شردتهم وقتلتهم وما ذلك إلا لأنهم رفعوا شعار (هي لله)؟ فأي تحول ذلك أيها الأستاذ الكريم؟ أما إن كان قصدك أنه كان ينبغي على الحزب أن يبدل طريقته فيلبس لبوسا ممزوجا ببعض الإسلام وبعض الديمقراطية كما فعل غيره ويترك طلب النصرة طريقة للوصول إلى الحكم، فإن ذلك كما أسلفت لك ليس للحزب أن يبدله من تلقاء نفسه وإلا خرج عن كونه حزبا إسلاميا وفقد شخصيته، فالحزب حزب سياسي مبدؤه الإسلام ولا يجوز في حقه أن يتبنى شيئا من غير الإسلام. أما أنك تطلب منه أن يغير موقفه من الديمقراطية كما تقول في مقالك، فلا أدري هل هذه نصيحة محب للحزب وفكرته أم غير ذلك!!

سادسا: يدرك الحزب أن حربه لن تكون سهلة فهو يحارب على كل الجبهات وليست الأنظمة وحدها بما تملكه من أجهزة قمعية هي فقط من يحاربه وإنما استعانت بأدوات وأقلام وأحزاب وهي تمكر به ليلا ونهارا لتظفر منه بشيء، لكن الحزب والحمد لله عصي على ذلك كله، والسبب في ذلك هو أنه تبنى الطريقة التي توصله وفكرته للحكم بوصفها أحكاما شرعية وليست الغاية عنده تبرر له فعل أي شيء للوصول لها، فهو لن يغير طريقته مهما طال عليه العمر، وهو في سبيل وصوله لغايته قد قطع أشواطا وحقق نجاحات عند الأمة.

سابعا: إن طلب النصرة حكم شرعي فعله النبي ﷺ وداوم على فعله مع ما لاقاه من عنت وشدة، فوق كونه لا يتصور أن يصل الإسلام بفكرته وعقيدته إلا به، فالقوى التي تحمي النظام وتقوم على حمايته مطلوب منها أن تحول قواها تجاه الإسلام وفكرته، فيكون طلب النصرة في حقيقته هو الطلب من القوى الحقيقية في الأمة أن تترك حماية النظام البائد إلى النظام الجديد، فإذا حصل التناغم بين قوة الأمة بوجود الرأي العام عندها على الإسلام ووجدت لهذا الرأي العام قوى تحتضنه من أهل القوة والمنعة تكون الدولة قد وجدت، والحزب والحمد لله قد جعل الفكرة التي يريد إيجادها في الأمة فكرة عامة ولم يبق له إلا أن يوجد من أهل القوة والمنعة (أهل النصرة) من يعينه على جعل فكرته توضع موضع التطبيق والتنفيذ، وبذلك عمليا تكون الدولة قد وجدت، وبغير هذه الطريقة الشرعية والعملية للوصول فإنه لن تقوم للمسلمين قائمة.

وأخيرا: سنقول له يا أستاذ حسن «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»، وأقول لك إن حزب التحرير لن يترك طريقته لأنها طريقة النبي ﷺ في الوصول للحكم، وهذا أمر الله ولن يضيعنا الله سبحانه. ولن يثنينا طول الطريق ولا صعوبته ووعورة مسالكه عن أن نلتزمه فهو سبحانه القائل: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**﴾ وهو القائل عز وجل: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾، نسأل الله نصره وفرجه.

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

خالد الأشقر (أبو المعتز بالله)